معالم منهج القرآن في عنايته بالعقل وأثره في بناء الإنسان فكريا، دراسة تفسيرية

أ.م.د.ربيع يوسف شحاته الجهمي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك –قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية والآداب

جامعة تبوك– المملكة العربية السعودية.

Features of the Holy Qur'an approach in caring for the mind and its effect on building Man intellectually: an interpretive study

Dr. Rabie Yosof Shehata Al-Jahmy

Associate Professor of Interpretation and Qur'an Sciences, Department of Islamic Studies, Faculty of Education and Arts, Alazhar University

Visiting Professor, Tabuk University, Saudi Arabia.

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان معالم منهج القرآن الكريم في عنايته بالعقل، وأثر ذلك في بناء الإنسان فكريا على الوسطية في كل شيء، وجاء ذلك في أربعة معالم رئيسة: أولها: التكليف والتشريف. وثانيها: الحفظ والوقاية. وثالثها: التربية والرعاية. ورابعها: التنمية والتزكية.

وقد أثبت البحث أن عناية القرآن الكريم بالعقل كانت لها أعظم الأثر في بناء فكر الإنسان على الوسطية السمحة عقيدة وعبادة وأخلاقا وفكرا وسلوكا، حيث تمثلت في: تشريفه بجعله مناطَ التكليف؛ وفي إيجاب حفظه من كل ما يفسده ماديا أو معنويا، وفي تحريره من التقليد والتعطيل، وفي تربيته على المنهج العلمي الصحيح، وفي تربيته على الوسطية والاعتدال، في العقيدة والعبادة والأخلاق، وفي حثه على كل ما ينمّيه ويزكّيه.

وعلى هذه المعالم الأربعة بُنِيَ العقل المسلم، فأنتج فكرا معتدلا، كان –ولا يزال– مثالا للفكر الوسطي، الذي وسع أمم الأرض على اختلاف مللهم وأزمنتهم وأماكنهم، وأفاد البشرية في كل فروع العلم والمعرفة.

الكلمات المفتاحية: منهج، القرآن، العقل، بناء، الإنسان، فكريا.

Abstract:

This article aims to identify the features of the Holy Qur'an approach in caring for the mind, and its effect on building Man intellectually based on mediation in everything. This takes the form of four main features, namely assignment and honor, conservation and prevention, education and care and finally, development and recommendation. The study proves that the Holy Qur'an's care for the mind had a great impact on building Man's thought on tolerant mediation in belief, worship, morality, thought and behavior. These are represented by honoring Man for being able to be assigned, preventing him from being corrupted materially or morally, getting him free from imitation and obstruction, educating him in the correct scientific method and mediation in education, mediation in belief, worship and morals, and in urging him to do everything that develops and purifies him. In such a way, the Muslim mind is built, so as to produce a moderate thought, which was, and still, an example of the mediate thought, which deals with all nations regardless of their manners, times and places, and benefits humanity in all fields of science and knowledge.

Keywords: Approach, the Holy Qur'an, mind, building, Man, intellectually

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، وسيد الأولين والآخرين، نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنه من نعم الله تعالى علينا أن جعل القرآن الكريم دستورا للدين ومنهاجا للحياة، ومصدرا للهداية وسبيلا للنجاة، فلا صلاح إلا في اتباعه، ولا نجاة إلا في التمسك بهديه.

وقد أودع الله تعالى فيه المنهج الأمثل لبناء الإنسان بناءً كاملا، صالحا لكل زمان ومكان؛ ليكون الإنسان –إن تمسك به– مؤهلا للرقي إلى أعلى درجات الكمال البشري في الدين والدنيا.

ومن أهم جوانب هذا المنهج العظيم: منهجه في العناية بالعقل؛ حيث اعتنى القرآن الكريم بالعقل –آلة الفكر– عناية بالغة، وأنزله منزلة سامية، حيث ناط به التكليف، فشرفه وكرمه، وحيث شرع له ما يحفظه ماديا ومعنويا، وحرره من التقليد والتعطيل، وربَّاه على المنهج العلمي الصحيح، ورعاه رعاية تامة، وربَّاه على الوسطية والاعتدال، في العقيدة والعبادة والأخلاق، ووجَّهَه إلى ما ينمّيه، وحثَّه على كل ما يزكّيه.

وقد كان لذلك كله بالغ الأثر في بناء الفكر الإسلامي، وسموه ورقيه، وبلوغه مرتبة لا يدانيه فيها أي فكر آخر على مر العصور والدهور. ومن هنا نبعت فكرة هذا البحث، والذي سميته: (معالم منهج القرآن في عنايته بالعقل، وأثره في بناء الإنسان فكريا)

أسباب اختيار الموضوع: كان من أهم أسباب اختياري هذا الموضوع:

١– عدم وجود دراسة تفسيرية تناولت هذا الموضوع تحديدا.

٢– انتشار ظاهرة الانحراف الفكري (إفراطا أو تفريطا) بين فئات من الأمة.

٣– أن أعداء الإسلام ينسبون –زورا وبهتانا– هذا الانحراف الفكري لدى بعض المسلمين إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، فوجب دفع هذه الشبه ورد تلك المزاعم.

أهداف البحث:

١– بيان معالم منهج القرآن الكريم في عنايته بالعقل.

٢– بيان أثر عناية القرآن الكريم بالعقل في بناء الإنسان فكريا على الوسطية في كل شيء.

٣– الانتصار لمنهج القرآن الكريم، والتأكيد على أصالته في بناء العقل الإنساني بناء متكاملا.

منهج البحث:

سرت في هذا البحث على منهجين:

الأول: المنهج الموضوعي: حيث ذكرت في كل موضع بعض الآيات الكريمة التي تتناوله، ولم أذكر كل الآيات؛ نظرا لضرورة الإيجاز المطلوب في النشر العلمي لمثل هذه البحوث.

الثاني: المنهج الاستنباطي: حيث تناولت ما أذكره من الآيات الكريمة بالبيان الموجز الذي يظهر وجه الاستدلال بها في موطنها الذي ذكرت فيه، مستنبطا ما تيسر من الهدايات.

الدراسات السابقة:

لم أعثر بعد بحث دقيق على دراسة تفسيرية تناولت موضوع البحث الحالي بهذا المنهج، ولا أبانت عن جوانب الهداية فيه.

وما وجدته من دراسات حول البناء الفكري والعقلي للإنسان في ضوء القرآن الكريم، فإنما هي دراسات من زوايا بعيدة عن مقصود البحث الحالي وعن مضمونه، وهي على النحو الآتي:

١- البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم، دراسة موضوعية.

للباحثة: ميساء كمال قلجة، وهي رسالة ماجستير، في كلية أصول الدين، بالجامعة الإسلامية بغزة. وجاءت في تمهيد وثلاثة فصول: الفصل الأول: طرق البناء العقلي في ضوء القرآن، وفيه تناولت الباحثة دعوة القرآن لإعمال العقل، والحث على التفكير العلمي بالنظر في آيات الله، والإيمان بالغيب ودوره في البناء العقلي. الفصل الثاني: أصحاب العقول، بين الإعمال والتعطيل، وأصنافهم. الفصل الثالث: نظرة الناس للعقل، وعلاقة العقل بالنقل.

** وظاهر من محتوى هذا البحث اختلافه مع البحث الحالي شكلا ومضمونا.

٢- أسس البناء الفكري في ضوء القرآن الكريم.

للدكتور: يحيى مُحَمَّد عامر راشد، منشور على شبكة المعلومات، وجاء في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث: الأول: الأساس العقدي، الثاني: الأساس العلمي، الثالث: الأساس العبادي، الرابع: الأساس القيمي، الخامس: الأساس التشريعي.

** وظاهر من محتوى هذا البحث اختلافه مع البحث الحالي شكلا ومضمونا.

٣- جوانب البناء القرآني للإنسان وآلياته دراسة موضوعية.

للباحث: مُحَمَّد أمين حسيني وزميليه، منشور على شبكة المعلومات، وجاء في مقدمة وخمسة مباحث: الأول: الجانب العقدي، الثاني: الجانب الروحي، الثالث: الجانب العلمي والمعرفي، الرابع: الجانب الأخلاقي، الخامس: الجانب البدني.

** وظاهر من محتوى هذا البحث اختلافه مع البحث الحالي شكلا ومضمونا.

٤ – مؤسسات البناء الفكري في ضوء القرآن الكريم.

للدكتور: يحيى مُحَمَّد عامر راشد، منشور على شبكة المعلومات، وجاء في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث: الأول: الأسرة، الثاني: المسجد، الثالث: المؤسسات التعليمية، الرابع: المؤسسات الدعوية، الخامس: المؤسسات الإعلامية.

** وظاهر من محتوى هذا البحث اختلافه مع البحث الحالي شكلا ومضمونا.

ومن هذا العرض الموجز يتبين أن البحث الحالي يختلف شكلا ومضمونا عن الدراسات السابقة؛ حيث أنه يتناول معالم المنهج القرآني العظيم –الذي لا يضاهيه منهج آخر– في عنايته بالعقل، تكليفا وتشريفا، وحفظا ووقاية، وتربية ورعاية، وتنمية وتزكية، وأثر ذلك كله في بناء الإنسان بناء فكريا وسطيا، يحفظه من الانحراف الفكري، ويربيه ويرعاه، وينميه ويزكيه.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وتضمنت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطته، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: بناء القرآن الكريم للإنسان فكريا، مفهومه وأهميته.

المبحث الثاني: معالم منهج القرآن الكريم في عنايته بالعقل، وأثره في بناء الإنسان فكريا.

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

المطلب الأول: المعلم الأول: التكليف والتشريف.

المطلب الثاني: المعلم الثاني: الحفظ والوقاية.

المطلب الثالث: المعلم الثالث: التربية والرعاية.

المطلب الرابع: المعلم الرابع: التنمية والتزكية.

ثم الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج.

ثم فهرس المصادر، ثم فهرس الموضوعات.

والله تعالى أسأل أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يعفو عن تقصيري وزللي، فإني بشر أصيب وأخطئ، فما كان من صواب فمن فضل الله تعالى علي وكرمه، وما كان من خطأ فمن نفسي، ويعلم ربي أني ما تعمدت التقصير، وحسن ظني في الله تعالى أن المجتهد مأجور على الحالين، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود: ٨٨]. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول : بناء القرآن الكريم للإنسان فكريا، مفهومه وأهميته

أولا: مفهوم البناء الفكري:

"البناء الفكري" مصطلح معاصر، وهو مركب وصفي لابد من تعريف جزأيه (البناء، والفكري) حتى يُعرف المقصود به.

(أ) **أما البناء: فهو لغة:** مصدر الفعل بَنَى، يقال: بَنَى يَبْنِي بِنَاءً وبِنْيَةً وبِنًى. وبِنَاءُ الشَّيْءِ: ضَمِّ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ. والبِناءُ: المِبْنِيُّ، وَالجَمْعُ أَبْنِيَةٌ، والبناء كما يُستعمل في المحسوس يَستعمل في المعنوي أيضا، يقال: بَنَى فلانٌ عَلَى أَهله بِناءً، ورُوي: بأهلِه: زَفَّها وارْدَفَّها. ويقال: بَنَى كلاماً وشِعْراً، وهذا كلامٌ حَسَنُ المباني، وبَنَى على كلامِه: احْتَذَاه"[١]. ويتضح من ذلك أن البِنَاء يطلق على: الضم، والتأسيس، والثبوت، كما أنه يطلق على المعنوي والمحسوس.

واصطلاحا: وضع شَيْء على شَيْء على صفة يُرَاد بهَا الثُّبُوت"[٢]. قلت: وذلك يشمل المعنوي والمحسوس، فيراد به مثلا: وضع اللبنة على اللبنة حتى يكتمل البناء، ووضع الكلمة على الكلمة حتى يتم الكلام، ووضع الفكرة على الفكرة حتى يتم التصور.

(أ) **وأما الفكري:** فهو منسوب إلى الفِكْر.

والفِكْرُ لغة: مأخوذ من الفعل (فَكَرَ) والفِكْرُ: تَرَدُّدُ الْقَلْبِ فِي الشَّيْءِ للاعتبار[٣]. والفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الْخَاطِرِ أو النَّظَرِ فِي الشَّيْءِ، والتَفَكُّرُ: التأمل[٤].

واصطلاحا: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول، وقيل: إمعان النّظر فِي الشَّيْء، ولا يقال الفكر إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، ولهذا روي: (**تَفَكَّرُوا في آلاء الله ولا تَفَكَّرُوا في الله عز وجل**)[٥]، وقال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ** ﴾ [الروم: ٨]، ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ** ﴾ [الأعراف: ١٨٤][٦].

ثانيا: المراد ببناء القرآن للإنسان بناء فكريا:

بناء القرآن للإنسان فكريا يعني: "إعداده عقليا وروحيا إعدادا وسطيا، يؤهله لتكوين عقيدة صحيحة عن الدين والدنيا والآخرة، ويحصنه ضد التيارات المنحرفة، ويعينه على بناء تصور سليم وإجابة شافية عن كل جديد في الحياة".

ثالثا: أهمية بناء القرآن للإنسان فكريا:

يمكن إيجاز تلك الأهمية في جانبين:

أولهما: الجانب الهدائي: وذلك أن بناء القرآن للإنسان بناء فكريا له الدور الأول في هدايته إلى الصراط المستقيم، وتعريفه بالمنهج الوسطي عقيدة وشريعة وأخلاقا، وفي تبصيره وإمداده بالرأي السديد على الأحداث والمواقف الدينية والحياتية، التي لا تنتهي ما تعاقب الجديدان. وبدون ذلك البناء القرآني يتخبط المرء في براثن المعاصي، وغياهب الشك والاضطراب، وربما وقع في ظلمات الشرك أو الكفر، والعياذ بالله تعالى.

وثانيهما: الجانب الوقائي: فإنه من أعظم ثمرات هذا البناء الفكري القرآني تحصين المسلم وحمايته، وبناء جسور متينة للوقاية من أي رأي ضال، أو تيار فكري منحرف، مهما حاول أصحابه تزيين أفكارهم، أو نصب شراكهم.

رابعا: أهمية الوسطية في الفكر الإسلامي:

إن للوسطية الدور الأعظم في بناء الفكر الإسلامي، ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقد فسرها النَّبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (**وَالوَسَطُ: العَدْلُ**)(٧).

فالوسطية في الإسلام تعني: المنهج الأمثل في فهم الدين وتطبيقه، والصراط المستقيم الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، والذي يتفق مع المنهج الإسلامي الصحيح، القائم على الحجة والبرهان، لا على الهوى والظن والبهتان.

والوسطية منهج رباني للدين والدنيا، لا يصلحان بدونه. إنها تحث على الالتزام بتعاليم الدين، وتعين على القيام بتكاليفه؛ لأنها قائمة على التيسير ورفع الحرج بدنيا ونفسيا وماليا واجتماعيا. كما أنها مظهر من أهم مظاهر رقي هذا الدين وسموه، وسماحته وعدالته، وموافقته للفطرة السليمة والعقول المستقيمة. وهي إلى جانب ذلك من أعظم الوسائل لدرء الشبهات، ودفع المطاعن التي توجه إلى الإسلام. وهي في النهاية خير معين على تحقيق الاستقامة على الصراط المستقيم.

خامسا: خطورة الانحراف الفكري:

الانحراف الفكري هو: الميل أو العدول عن حد الوسط والاعتدال، إفراطا أو تفريطا، في كل ما يسلكه الإنسان في معتقداته وتصوراته في جانب الدين أو جانب الدنيا، أو فيهما معا.

وتكمن خطورة الانحراف الفكري في كونه الأصل لكل المفاسد، ذلك أن الفكر هو المحرك الأول للإنسان، وهو قائده نحو الخير أو الشر، فإذا صلح الفكر صلح سائر العمل، عقيدة وشريعة وأخلاقا، وإذا فسد فسد سائر العمل.

إن الانحراف الفكري في جانب الإفراط مثلا هو الذي انطلقت منه تلك الأفكار الهدامة والتصورات الخاطئة والعقيدة الفاسدة التي تبناها بعض المتشددين، فنصَّبوا أنفسهم مُفتين، ورأوْا أن الحق معهم دون غيرهم، فكفَّروا غيرهم، واستحلوا الدماء البريئة، وسفكوها بغير جريرة؛ ليُوصَمَ دينُ الإسلام بعد ذلك –بسبب فكرهم الضال– بالإرهاب والقتل والتخريب، وهو من ذلك بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب!!!.

وإن الانحراف الفكري في جانب التفريط هو الذي انطلقت منه تلك الدعوات الهدامة التي فرطت في ثوابت الدين وأصوله، فأوَّلت القرآن تأويلا باطلا، يناسب شهواتها ونزواتها وانحلالها، وعملت على استبعاده وتهميشه وتمييعه، وجعله نصا تاريخيا قابلا للنقد، خاضعا للعقل والهوى،!!!؛ ليزعزعوا ثقة المسلمين في كتاب ربهم، وليستبدلوا ثوابت الدين وأصوله بالنفعية والمادية، والتحلل والإباحية، والإلحادية، تحت شعارات حرية الفكر والاجتهاد، والحداثة، وغير ذلك من الشعارات الباطلة.

هذان مثالان في جانب الدين إفراطا وتفريطا، ودونك أيها القارئ الكريم أمثلة كثيرة على الانحراف الفكري في جانب الدنيا إفراطا أو تفريطا أيضا.

المبحث الثاني: معالم منهج القرآن الكريم في عنايته بالعقل، وأثره في بناء الإنسان فكريا:

تمهيد:

إن من أجَلِّ نعم الله تعالى على الإنسان نعمة العقل، الذي جعله الله آلةَ الإدراك، والفهم، والتفكير، والحِكْمة، والتمييز، والحكم على الأشياء، وبه فضَّله على سائر الكائنات، وبه يتحرك الإنسان لأداء مسؤولياته في هذا الوجود.

ولما كان فكرُ الإنسان نتاجَ عقله، جاءت عناية القرآن الكريم بالعقل على رأس معالم منهجه في بناء الإنسان فكريًّا، فخصَّه الله تعالى بالعناية البالغة، وكرَّمه وأنزله منزلة عالية شريفة.

ينبئك عن تلك المنزلة العالية إجمالا: ورودُ مشتقات مادته في القرآن الكريم تسعا وأربعين مرة، وورود مشتقات مرادفاته من (القلب، والفؤاد، والنُّهَى، والحِجْر، واللُّب، ...الخ)، ومشتقات أعماله من (العلم، والفقه، والفكر، والقراءة، والوعي، والتذكر، والتدبر، والنظر، والاعتبار، ... الخ) أكثر من ألف مرة!![٨]، وهذا يدل دلالة تامة –لا ينكرها إلا جاحد– على إعلاء القرآن لمنزلة العقل، وعنايته به عناية خاصة.

وقد تجلى منهج القرآن الكريم في عنايته بالعقل –آلة الفكر– فشمل كل جوانبه، في صورٍ شتى، تجلُّ عن الحصر، وتربو على الذكر، ولكن يمكن إجمال معالم منهجه فيما يأتي:

المعلم الأول: التكليف والتشريف. المعلم الثاني: الحفظ والوقاية. المعلم الثالث: التربية والرعاية. المعلم الرابع: التنمية والتزكية. **ونتناول ذلك في المطالب الآتية:**

المطلب الأول: المعلم الأول: التكليف والتشريف:

وقد تجلى في جعل القرآن الكريم العقل مناطَ التكليف؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

والمعنى: إنا عرضنا الأمانة –التي هي التكاليف الشرعية، من التزام الطاعات وترك المعاصي–على السماوات والأرض والجبال. وعرضها عليهن: من باب المجاز[٩]، تعظيما لشأن تلك الأمانة، وأنها من الثقل بحيث لو عُرضت عليهن لأبين حَمْلها إشفاقا منها، فهذا ضرب من المجاز؛ كقولك: "عرضتُ الحِمْلَ العظيم على الدابة فأبت أن تحمله"، والمراد أنها لا تقدر على حمله. و﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ ﴾ أي: والتزم الإنسان القيام بتكاليفها وأعبائها، مع شدة ذلك وصعوبته على تلك الأجرام التي هي أعظم منه؛ ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾، والإنسان هنا يراد به الجنس، أي: بحسب غالب أفراده الذين لم يراعوها حق رعايتها ولم يقوموا بحقها حق القيام[١٠].

ولم يكن إباء تلك الأجرام امتناعا واستكبارا، كما صنع إبليس اللعين، فهنَّ مَن أَتَيْنَ طائعين[١١]، وإنما كان إباء إشفاقٍ وخوفٍ كما نص القرآن.

كما لم يكن تحمُّل الإنسان لتلك الأمانة تجرؤا على الله تعالى؛ وإنما كان بهداية وتوفيق منه سبحانه؛ تكريما وتشريفا لذلكم الإنسان الطائع القائم بخلافته تعالى في أرضه، وإعلاء لشأنه، بفضل ما أودعه سبحانه فيه من صفات وخصائص وقدرات خصَّه تعالى بها؛ وعلى رأسها العقل، الذي هو آلة الفهم والإدراك، وأساس التكليف؛ فما أعظمه من تشريف وما أجله من تكريم!!.

ولهذا أجمع الفقهاء على أن العقل شرط التكليف وأساسه، وأن من لا عقل له لا تكليف عليه، وإن كان مسلما بالغا، لقوله صلى الله عليه وسلم: **(رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ)**[١٢].

* **ومن هذا الباب:** جعل القرآن الكريم العقلَ معيارا للتصرف في المال؛ قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن

يَكۡبَرُواْ ﴾ [النساء: ٦]. قال الطبري بعد أن ساق أقوال السلف في معنى الرُّشْد: "وأولى هذه الأقوال عندي بمعنى " الرُّشْد" في هذا الموضع، العقل"(١٣).

وخلاصة القول: أن جعل العقل مناط التكليف له الدور الأعظم في بناء فكر المسلم، وتكوين وعيه؛ إذ به يفهم عن الله تعالى مراده، وبه يعرف الحلال من الحرام، وبه يعرف كيف يطبق شرع الله. وقد أسس هذا لقاعدة عظيمة هي أن الفكر الإسلامي قائم على احترام العقل وتقديره، واعتباره شرطا للتكليف بالشرع، وأن بينهما من الصلة والترابط واللُّحمة ما لا يمكن أن يزال.

المطلب الثاني: المعلم الثاني: الحفظ والوقاية:

وقد بلغت عناية القرآن الكريم بذلك مبلغا عظيما، حتى صارت المحافظة على العقل: إحدى الضروريات الخمس، والكليات الكبرى، والمقاصد العامة في الإسلام. وتمثلت تلك المحافظة والوقاية في الجانبين المادي والمعنوي.

أولا: حَفِظَه القرآن الكريم ماديًّا:

بأن شرع له ما يحفظ وجوده، وما يحفظه صحته وسلامته، وتجلى ذلك إجمالا في أمرين عظيمين:

أولهما: تحريمه الاعتداء على العقل بالإهلاك:

وهذا الحكم مبني على المفهوم من النصوص الشرعية الكثيرة التي بينت مكانة العقل وقداسته، وأنزلته منزلة النفس، حتى قرر الفقهاء: أن إذهابه في معنى إزهاق النفس، والإلحاق بالبهائم، فيكون بمنزلة الموت؛ لأن العقل أكبر المعاني قدْرًا، وأعظم الحواس نفعًا، فبه يتعلق التكليف، وهو شرط في ثبوت الولايات، وصحة التصرفات، وأداء العبادات، وبه يتميز الإنسان عن البهيمة؛ وبه ينتفع لدنياه وآخرته، ومنافعه أعظم من أن تُحصى؛ ولهذا أجمعوا على وجوب الدية كاملة في إذهابه(١٤)؛ قال ابن المنذر: "وأجمعوا أن في العقل دية"(١٥).

والثاني: تحريمه كل ما يحجب العقل ويغيبه:

حيث حرَّم تعاطي الخمر، وما شابهها؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]. وأكد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في قوله: (**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ**)(١٦). وجلد رسول الله ﷺ شاربها؛ فعن أنس رضي الله عنه: (أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَدَ

فِي الْخَمْرِ بِالْجَرِيدِ، وَالنِّعَالِ»، ثُمَّ جَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ، فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ، وَدَنَا النَّاسُ مِنَ الرِّيفِ وَالْقُرَى، قَالَ: «مَا تَرَوْنَ فِي جَلْدِ الْخَمْرِ؟» فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا كَأَخَفِّ الْحُدُودِ، قَالَ: «فَجَلَدَ عُمَرُ ثَمَانِينَ»)[١٧].

وأجمعت الأمة على تحريم شرب الخمر –وما شابهها– وأن ذلك من كبائر الذنوب[١٨].

وبهذا حفظ القرآن الكريم العقل ووقاه من الفساد؛ لأن الإنسان إذا سَكِر فَقَدَ وعْيُه، فإذا أدمن السُكْر فسد فِكْرُه، وفَقَدَ أشرف شيء فيه وهو العقل، الذي كرمه الله تعالى به، فضيَّع الفرائض، ووقع في كثير من الآثام والشرور.

والتاريخ شاهد على أنه لم يفلح قانون أو نظام وضعي في حماية العقل من تلك الخبائث، وأن أموالا كثيرة أُنفقت في سبيل ذلك دون جدوى؛ لكن القرآن الكريم بمنهجه المعجز وتشريعه المحكم استطاع ذلك؛ فقد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (... **فَإِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ، وَفُلاَنًا وَفُلاَنًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: وَهَلْ بَلَغَكُمُ الخَبَرُ؟ فَقَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: حُرِّمَتِ الخَمْرُ، قَالُوا: أَهْرِقْ هَذِهِ القِلاَلَ يَا أَنَسُ، قَالَ: فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا وَلاَ رَاجَعُوهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ**)[١٩].

ثانيا: حَفِظَه القرآن الكريم معنويا:

بأن شرع له ما يحفظه من الخلل والاضطراب فحرَّم السِّحر، وما يندرج تحته من الدجل والشعوذة وغيرهما:

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ نصان صريحان على أن السحر والعمل به كفر[٢٠]، وقد عدَّه النبي ﷺ من الموبقات؛ أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ**، ... الحديث)[٢١].

وفي بيان خيبة الساحر وخذلانه في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٩]. أي: حيث جاء، وأَين أَقبل، وحيث احتال.

ولا يخفى أن تعاطي السحر بعد أنه كفر بالله تعالى، فهو داء يمرض العقول ويصيبها بالاضطراب[٢٢]، ويؤثر عليها تأثيرا محققا، وضرره أعرف من أن يذكر تفصيلا، وفي تحريم القرآن له حماية للعقل من الفساد.

ويلتحق بتحريم السحر كل ألوان الدجل والشعوذة والخرافة، مما يؤثر في صلاح العقل واعتداله، ويؤدي إلى إخلاله بوظائفه المنوطة به، وينزل به إلى مهاوي الانحراف الفكري، أيًّا كان نوعه.

وبهذا حافظ القرآن الكريم على العقل وحماه من كل ما يعيقه عن الغاية التي خلقه الله تعالى لأجلها، وفي ذلك أعظم بناء لفكر الإنسان.

المطلب الثالث: المعلم الثالث: التربية والرعاية:

وقد بلغت عناية القرآن الكريم بذلك مبلغا عظيما أيضا، حيث حرَّر القرآن الكريم العقل من التقليد والتعطيل، وربَّاه على المنهج العلمي الصحيح، القائم على الحجج والبراهين، وحث على كل ما ينمّيه ويزكّيه. ويمكن إجمال ذلك في الآتي:

أولا: تحرير العقل من التقليد والتعطيل:

وذلك ليُبْنَى فكر المسلم بناء صحيحا قويا، حرًّا من كل ما يقيده أو يلغيه؛ مما هو مخالف للدين والعقل السليم والفطرة القويمة، فالفكر الإسلامي لا يقوم على التعصب أو التقليد، أو النظريات الزائفة، اتباعا لمن سبق، أو تعصبا لمن سلف.

وفي سبيل ذلك ذَّم القرآن الكريم التقليد الأعمى والاتباع الأصم، ونعى على أصحابه، بعد أن كان قد وجه عقولهم للنظر في دلائل قدرة الله تعالى في النفس والآفاق، ليستدلوا منها على وجود الله تعالى، ومن ثم وجوب عبادته وحده لا شريك له، ونبذ عبادة كل ما عداه، لكنهم كما أخبر الله تعالى ألغوا عقولهم، وأبوْا إلا تعطيلها؛ متابعة لآبائهم الذين لا يعقلون لأنفسهم شيئا ولا يملكون لها نفعا ولا ضرا.

– قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وفيه إشارة إلى فساد ما تعلقوا به من متابعة الآباء، فعطلوا لأجله عقولهم وألغوها، بأن من تعلقوا بمتابعتهم لا يعقلون شيئا لهم ولا لغيرهم، ولا يهتدون لخير لهم ولا لغيرهم، فهم إذًا في ضلال مقيم.

وفي التعبير بالمضارع الذي يدل على التجدد والاستمرار في: ﴿يَعْقِلُونَ﴾، و﴿يَهْتَدُونَ﴾ ما يؤكد بقاء آبائهم على ذلك ما داموا على هذا الباطل، وأنهم باقون معهم مستمرون في ذلك الجهل وعدم الهداية.

– وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: ٢١].

وهنا إشارة أخرى، تتمثل في استيلاء الشيطان على عقولهم لما عطلوها تعصبا لآبائهم، وبيان أن الشيطان لا يدعو في الحقيقة إلا إلى عذاب السعير، وإن بدا في الظاهر داعيا إلى نفع أو متاع.

– وقال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزخرف: ٢٢ – ٢٤].

وهنا إشارة جديدة أيضا، تكمن في إحالتهم مرة أخرى إلى عقولهم ليدركوا الحق ويبصروه، تتمثل في دعوة النبي ﷺ إياهم ليقارنوا بعقولهم بين ما وجدوا عليه آباءهم وما جاءهم به رسول الله ﷺ؛ لكنهم جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا!!!.

ولما كان الدين قائما على إعمال العقل، كان تعطيله جناية عليه، وسببا لفقدان من عطَّله الأهلية بين البشر، وإلحاقه بالبهائم السائمة التي لا تعقل؛ نرى ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فقد نعى الله تعالى على أولئك الذين عطَّلوا عقولهم وجوارحهم عن معرفة الحق وقبول الهدى، وحكم بأنهم أشبه بالبهائم التي لا تعقل، بل أشد، والمراد بالقلوب هنا: العقول، بدلالة قوله تعالى: (لا يفقهون بها).

لما عطَّل هؤلاء عقولهم صاروا كالأنعام المسخرة، التي لا تعقل الخيرَ من الشر، فتميز بينهما، بل هم أشد ذهابا عن الحق، حيث أكرمهم الله بالعقول فعطلوها، ورزقهم الفهم فتركوه، فالبهائم أسدُّ منهم، وهم أضلُّ منها؛ لأن البهائم تهرب من المضارّ، وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح، وهؤلاء مع ما أعطوا من الأفهام والعقول المميّزة بين المصالح والمضارّ، تركوا ما فيه صلاحُ دنياهم وأخراهم(٢٣).

ثانيا: تربية العقل على المنهج العلمي القائم على الحجج والبراهين:

وقد تجلى ذلك في صور كثيرة، أذكر منها ما يأتي ببيان مجمل:

(أ) تربية العقل على الفهم واتباع البرهان:

حيث ربَّى القرآن الكريم العقل على روح الموضوعية في الفهم والنظر، واتباع البرهان، ونبذ التعصب القائم على غير الحجج والبراهين؛ وذلك واضح جلي في مشاهد عديدة، **منها:**

– مناقشة القرآن الكريم المعاندين في عقائدهم: ونجد ذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١]. وغير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المقام.

حيث ناقش القرآن الكريم المشركين وغيرهم وجادلهم بالحجة والبرهان، وأحالهم إلى عقولهم، وبين فساد عقائدهم، فلم يسقْهم إلى الإيمان سَوْقا، أو يجبرهم عليه قسرا، ولم يعدْهم أو يمنيهم، وإنما أقام الحجج على عقولهم، ووضع البراهين بين أيديهم، ودعاهم إلى الحق بألطف بيان وأجمل أسلوب.

ولا ريب أن في استخدام القرآن الكريم لتلك الحجج والبراهين تربية للعقل المسلم على المناقشة والحوار بالحجج والبراهين؛ نصرة للحق وتعرية للباطل.

– طلب القرآن من المعاندين أن يأتوا بالبرهان على ما يزعمون: نرى ذلك جليا في آيات كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١١]. وقوله تعالى: ﴿ أَمِ

ٱتَّخَذُوٓاْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٤]. وغير ذلك من الشواهد القرآنية.

و"البرهان: أوكد الأدلّة، وهو الذي يقتضي الصدق أبدا لا محالة"(٢٤)، و"الفرق بينه وبين الدليل: أن البرهان: هو الحجة القاطعة المفيدة للعلم، وأما الدليل: فإنه يفيد الظن"(٢٥). وفي استعمال القرآن للفظ "البرهان" إفحام لهم، وإقامة للحجة عليهم بأنهم كاذبون في كل ما يدَّعون؛ لأنه يستحيل عليهم أن يأتوا بحجة قاطعة تقتضي الصدق لا محالة على شيء مما يزعمون.

وفي هذا المنهج القرآني تربية عظيمة للعقل المسلم على ضرورة الفهم واتباع البرهان في كل ما يأتي وما يذر، وأن يكون منهجه وديدنه قائما على الحجج، لا على الأقوال والآراء والأهواء التي لا نصيب لها من الحق، ولا برهان عليها من العقل.

(ب) تطهير العقل من اتباع الأهواء والظنون:

لأنهما يحجبان عن الحق، ويحُولان دون الوصول إلى العلم الصحيح والمعرفة الحقيقية. فالهوي: "ميل النفس إلى الشهوة، سمّي بذلك لأنّه يَهْوِي بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية، وفي الآخرة إلى الهَاوِيَةِ"(٢٦). والظن: "اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدّا لم يتجاوز حدّ التّوهّم"(٢٧).

– ففي ذم اتباع الهوى والتحذير منه يقول تعالى: ﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]. والمعنى: "أرأيت يا مُحَمَّد من اتخذ إلهه شهوته التي يهواها!!، وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه رمى به، وأخذ الآخر يعبده، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره لنفسه"(٢٨).

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾ [المؤمنون: ٧١]. وآيات كريمة أخرى كثيرة تذم اتباع الهوى، وتحذر منه.

– وفي ذم الظن والتحذير منه يقول تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يونس: ٣٦]. والمعنى: "إن الشك لا يغني من اليقين شيئًا، ولا يقوم في شيء مقامَه، ولا ينتفع به حيث يُحتاج إلى اليقين"(٢٩).

وبهذا النهج حافظ القرآن على العقل وصانه من الظنون والشكوك التي تهوي به إلى مكان سحيق.

ثالثا: بيان حدود العقل التي لا يجوز له تجاوزها:

وهنا يتجلى أعظم مظهر من مظاهر عناية القرآن بالعقل، فمع أن القرآن أنزله منزلة عالية رفيعة، إلا أنه حرَّم عليه الخوض في قضايا لا طاقة له في الوصول إلى حقيقتها، ولا قِبَل له بتصورها، وهي قضايا الغيبيات؛ مثل: التفكر في كنه الذات الإلهية، والروح، والساعة، وأمثالها؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، والعقل لا يمكنه تصور هذه الغيبيات الخارجة عن نطاق الحواس كلها.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]. فإذا نُهِيَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم مع حكْمتِه وعِلْمِهِ وتوفيق اللَّهِ إيَّاهُ – أن يقول بما لا يعلم، فكيف سائر أمَّتِه والمسرفين على أنْفُسِهم. يقال: قَفَوْتُ الشيءَ أقْفُوه قَفْواً: إذا اتبَعْتَ أثرَه، فالتأويل لا تُتْبِعَنْ لِسانَك من القول ما ليس لك به علم"[٣٠]. وفي ذلك تربية لفكر المسلم على عدم الخوض فيما لا علم له به.

وقال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

إلى غير ذلك من قضايا الغيبيات الواردة في كثير من الآيات، والتي حرَّم القرآن على العقل الخوض فيها، ومقام العقل في ذلك كله التسليم والإذعان، والتصديق بما جاء عنها في الكتاب والسنة، وباب النظر والتدبر والتفكر والبحث مفتوح بعد ذلك في النفس وفي الآفاق.

وبهذا المنهج القويم وضع القرآن العقل في مكانه اللائق به بلا إفراط ولا تفريط، لا ليَحْجُرَ عليه، ولكن ليحدد له مجاله الذي خُلق لأجله، ويمنع عنه ما يفسده إن حاول البحث فيه، حفاظا عليه، ورحمة به من التكليف بما لا يطاق، ولولا ما جاء به القرآن من توجيهات ضبطت ميزان العقل في هذه الأمور الغيبية، وحددت مجاله الذي خُلق لأجله، لبقي الناس في حيرة وفي ضلال.

رابعا: تحريم الخوض في الدين بغير علم:

ومن جوانب تربية القرآن الكريم للعقل ورعايته: أن حرم عليه الخوض في الدين بغير علم؛ لأن تعمد الخوض في الدين بغير علم تعمد للكذب على الله تعالى، والكذب على الله تعالى من كبائر

الذنوب[٣١]، قال الله عز وَجل ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الزمر: ٦٠].

والذين كذبوا على الله: هم الذين نسبوا إليه عز وجل ما هو منزه عنه، أو أحلُّوا الحرام وحرَّموا الحلال .... الخ، وفيه تخويف شديد من الكذب على الله تعالى، وظاهر الآية اسوداد وجوههم يوم القيامة على الحقيقة، ليفضحهم الله تعالى على رؤوس الأشهاد، فيجتمع عليهم العذاب المعنوي، والعذاب المادي في جهنم وبئس المصير. ولا ريب أن اسوداد وجوههم ناشيء عن انحراف فكرهم في الدنيا، فخوفهم الله تعالى بهذا العقاب الشديد، وفيه حماية للفكر من الانحراف.

ولأجل هذا:

(أ) حرَّم الله على العقل الخوض فيما لا يعلمه:

فعلَّم نبيَّه ﷺ -والأمر لنا من بعده- أن لا يتكلم فيما لا يعلم، وهذا أدب عالٍ أدب الله تعالى به نبيَّه، حيث قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ ولهذا تنزه النبي ﷺ عن الكلام بما لا يعلم، بل لم يكن يتكلم إلا بالوحي، ومدحه الله تعالى بذلك، فقال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

(ب) وحرَّم الله تعالى القول عليه سبحانه بغير علم:

فقال عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وهذا تحريم صريح، يشمل كل أنواع الكذب على الله تعالى، وهذا كاف في بيان حرمته، فإذا أضفنا إلى ذلك ما ذهب إليه بعض المحققين[٣٢] من أن ترتيب المحرمات في هذه الآية بدأ من الأدنى للأعلى، كان القول على الله بغير علم هو أعظم تلك المحرمات.

(ج) وبيَّن الله تعالى أن من يتقول عليه بغير علم إنما هو متبع للشيطان:

فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩]

وفي هذا تحذير وتخويف آخر، أي: إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة، وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه، وأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم[٣٣]، من مثل قولكم: هذا حلال وهذا حرام، بغير علم، ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله تعالى مما لا يجوز عليه، .... فإن قلت: كيف كان الشيطان آمرا لهم بذلك مع قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر: ٤٢]؟ قلت: شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الآمر، كما تقول: أمرتني نفسي بكذا[٣٤].

(د) وحرَّم الله تعالى الفتيا بغير علم، وجعلها افتراء للكذب عليه تعالى:

فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [النحل: ١١٦].

حيث "نهى الله تعالى عن سلوك سبيل المشركين الذين حلَّلوا وحرَّموا بمجرد ما وصفوه واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك، مما كان شرعا لهم ابتدعوه في جاهليتهم، ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلل شيئا مما حرم الله، أو حرم شيئا مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه"[٣٥].

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي نضرة قال: "قرأت هذه الآية في سورة النحل، فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا"[٣٦]. وأخرج الطبرانيّ عن ابن مسعود قال: "عسى رجل يقول: إن الله أمر بكذا أو نهى عن كذا. فيقول الله عزّ وجلّ: كذبت. أو يقول: إنّ الله حرم كذا أو أحلّ كذا: فيقول الله له: كذبت"[٣٧].

ولهذا كره الإمام مالك وقوم أن يقول المفتي: هذا حلال وهذا حرام في المسائل الاجتهادية، وإنما يقال ذلك فيما نص الله عليه، ويقال في المسائل الاجتهادية: إني أكره كذا وكذا، ونحو ذلك[٣٨].

هذا كله يدل دلالة لا ريب فيها على تحريم الخوض في الدين بغير علم، وفي ذلك تربية عظيمة للعقل المسلم، وصيانة له من الانحراف إفراطا أو تفريطا.

خامسا: تربية العقل على الوسطية:

لما كانت الوسطية أهم الدعائم والقواعد في مواجهة التيارات المنحرفة؛ لا جرم اعتنى القرآن الكريم بتربية العقل على الوسطية عناية بالغة؛ فأرسى قواعدها في كل باب من أبواب هذا الدين الحنيف، عقيدة، وشريعة، وأخلاقا؛ حتى صارت شعاره الأساس، وروحه التي تسري في جنباته؛ فكان لهذا أعظم الأثر في بناء الفكر الإسلامي على الوسطية والاعتدال، ووقايته من التطرف والانحراف.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فالأمة الإسلامية أعدل الأمم، وبهذا فسر النبي ﷺ وسطيتها بقوله: (**وَالوَسَطُ: العَدْلُ**)[٣٩]. وصفهم الله تعالى بالوسطية لتوسطهم في الدين واعتدالهم فيه، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، –غلوَّ النصارى الذين غَلُوا بالترهُّب، وقِيلهم في عيسى ما قالوا فيه – ولا هُم أهلُ تقصير فيه، –تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به–؛ ولكنهم أهل توسُّط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك؛ إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها[٤٠].

ويمكن إجمال جوانب عناية القرآن الكريم بتربية العقل على الوسطية فيما يأتي:

أولا: تربية العقل على وسطية العقيدة:

حيث عني القرآن الكريم ببيان وسطية العقيدة الإسلامية عناية بالغة، وكان لذلك أثر عظيم في تربية العقل المسلم وبنائه فكريا، لأن الفكر ناشئ عن العقيدة، يصلح بصلاحها، ويفسد بفسادها. ومن أهم مظاهر وسطيتها:

(أ) اعتدالها، فلا غلو فيها ولا تقصير:

والشواهد على ذلك في كل أبواب العقيدة من الوضوح بمكان؛ في الإلهيات، والنبوات، والسمعيات، ومن ذلك:

١– وسطية العقيدة في الإيمان بالله تعالى:

حيث جاءت وسطا بين كل العقائد الباطلة؛ والتي منها: عقيدة أولئك الذين أنكروا وجود الله تعالى؛ وفيهم قال عز وجل: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وعقيدة الذين ادعوا الألوهية؛ وفيهم جاء قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨]. وعقيدة الذين زعموا تعدد الآلهة؛ وفيهم ورد قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢١، ٢٢]. وعقيدة الذين اتخذوا مع الله تعالى أندادا؛ وفيهم قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣]، وغيرهم من أهل الملل والنحل الباطلة.

– **لقد أبطل القرآن الكريم كل تلك العقائد بالحجج والبراهين** التي لا تقبل الشك أو الريب، وقرر العقيدة الوسطية الحقة في الله تعالى:

فأثبت وجود الله تعالى، في آيات كثيرة، بأدلة متعددة، منها: قول الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾ [الملك: ٣]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [السجدة: ٧ – ٩].

– ونفى وجود إله غيره سبحانه وتعالى، فقال عز من قائل: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٢].

– وقرر وحدانية الله تعالى، وأثبت له كل صفات الكمال، ونزَّهه سبحانه عن كل ما لا يليق بجلاله، في آيات كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الإخلاص]، وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

– ونفى عنه سبحانه الصاحبة والولد؛ فقال عز وجل: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١]. إلى آخر الآيات الكريمة في هذا المقام.

ودونك شواهد قرآنية أخرى لا تحصى، تقوم جميعها على تربية العقل المسلم على العقيدة الوسطية الحقة، التي تريحه من الشك والاضطراب، ومن عناء البحث عن اليقين، وتلبي نداء الفطرة، وتحقق الاستقرار النفسي.

وإن العقل الذي تربى على تلك الوسطية العقدية لجدير به أن يكون مستقرا فكريا، سليما معافى من كل الانحرافات إفراطا أو تفريطا.

٢- وسطية العقيدة الإسلامية تجاه أصحاب العقائد الأخرى:

وفي هذا من العدالة ما فيه، فإنه مع إبطال القرآن الكريم لكل العقائد المخالفة، وحكمه بكفر أصحابها، وتقريره العقيدة الإسلامية الحقة، إلا أن موقفه تجاه أصحابها كان وسطيا، مما يدل على سمو تشريعه ورقي عدالته. وتقرير ذلك إجمالا في الآتي:

- أنه لم يجبر أحدا على الدخول في الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

- وأنه أباح فوق ذلك معاملة المسالمين منهم معاملة حسنة؛ قال تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩ ﴾ [الممتحنة: ٨ – ٩].

- وأنه لم يشرع جدالهم إلا بالتي هي أحسن؛ قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

- وأنه أباح أكل ذبائح أهل الكتاب، ونكاح المحصنات من نسائهم؛ قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥ ﴾ [المائدة: ٥].

إلى آخر ما هنالك من شواهد ساهمت في بناء العقل المسلم على الوسطية والاعتدال في باب العقيدة، وكان لها بالغ الأثر في حمايته من الانحراف، كيف لا والفكر مرهون بما يُعقد عليه العقل، فإذا عُقد على الوسطية أثمر لا محالة فكرا معتدلا وسلوكا سويا، وإذا عُقد على الغلو أو التقصير أثمر فكرا متطرفا وسلوكا منحرفا.

(ب) وضوحها ويسرها وواقعيتها:

والذي كان له أعظم الأثر في تربية العقل المسلم وبناء فكره على الوسطية والاعتدال؛ فالعقيدة الإسلامية واضحة لا غموض فيها، سهلة لا تعقيد فيها، واقعية لا خيال فيها؛ وذلك لما يأتي:

١- لأنها قائمة على الحجج الواضحة والبراهين الساطعة، التي يسجد لها العقل الصحيح، وتسلّم بها الفطرة النقية. وأي عقل صحيح وأي فطرة نقية ترد تلك البراهين الواضحة التي أقامها القرآن الكريم، وتضمنتها كثير من آياته، والتي منها:

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ [ق: ٦، ٧]. وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١١]. وقوله تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النمل: ٦٤].

٢- لأنها ترفض التقليد الأعمى وتدعو للنظر والتأمل والتعقل للوصول إلى الحق الذي لا يمتري فيه عاقل منصف: يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، ويقول تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ويقول تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦].

وعلى هذه العقيدة الوسطية تَرَبَّى العقل المسلم وبُنِي الفكر الإسلامي في عصور الإسلام الزاهرة، فوسع أمم الأرض، على اختلاف مللهم ونِحلهم وأزمنتهم وأماكنهم، وأفاد البشرية في كل فروع العلم والمعرفة.

ثانيا: تربية العقل على وسطية الشريعة:

حيث قرَّر القرآن الكريم وسطية الشريعة في كل جوانبها، من العبادات والمعاملات، فأثمرت ثمارها اليانعة في تربية العقل المسلم، وبناء الفكر الإسلامي على الوسطية والاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط. ومن شواهد ذلك:

١- تقرير القرآن التيسير والتخفيف على الأمة، ورفع الحرج عنها، وعدم التكليف بما لا يطاق:

* فمما يدل على التيسير: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]: حيث دل صراحة على أن الله تعالى لا يريد بتشريعه كله إلا اليسر، و"فيه أن هذا مقصد من مقاصد تشريع الله سبحانه، ومراد من مراداته في جميع أمور الدين"(٤١).

* ومما يدل على التخفيف: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨]: حيث دل صراحة أيضا على أن الله تعالى لا يريد بتشريعه كله إلا التخفيف واليسر(٤٢).

* ومما يدل على رفع الحرج: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وهذا نص صريح في أن الله تعالى رفع عن الأمة كل ما فيه مشقة أو ضيق، وهو مما خص الله تعالى به هذه الأمة(٤٣). قال ابن العربي: "ولو ذهبت إلى تعديد نِعَم الله في رفع الحرج لطال المرام"(٤٤).

* ومما يدل على عدم التكليف بما لا يطاق: قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأعراف: ٤٢]. والتكليف: هو الأمر بما يَشُقُّ. وتكلفت الأمر: تجشمته(٤٥). والوسع: ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يُحرج فيه، أي: لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود، وهذا إخبار عن عدله ورحمته تعالى(٤٦). وهو نص صريح في أن الله تعالى لم يكلف العباد عبادةً من أعمال القلب أو الجوارح إلا وهي في وسع المكلف وفي مقتضى إدراكه وبنيته"(٤٧)، وهذا تمام الوسطية.

وإن عقلا تربى على هذا التيسير، وذلك التخفيف، ورفع الحرج، لجدير به أن يكون معتدلا سويا، وأن يكون فكره وسطيا معتدلا؛ لأنه يشرب من لبان اليسر والسماحة، ويتغذى من روح الرأفة والرحمة.

٢- تقرير القرآن لكثير من الرخص الشرعية:

– حيث رخَّص للمكره النطق بكلمة الكفر، ولم يوجب عليه التضحية بنفسه أو بعضه؛ قال الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦].

– ورخَّص للمضطر الأكل من المحرمات، ولم يحرم عليه ذلك حتى يموت من الجوع؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

– ورخَّص للمريض والمسافر الإفطار في رمضان، ولم يشق عليهما بالصوم في تلك الأحوال؛ قال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾ [البقرة: ١٨٤].

إلى آخر تلك الرخص الشرعية التي دلت دلالة واضحة على وسطية الشريعة، وأسهمت إسهاما عظيما في بناء العقل المسلم على التيسير، والرفق واللين، وتبني الآراء المعتدلة، وانتهاج الوسطية في كل الشؤون.

٤– تقريره التوازن بين العمل للدنيا والعمل للآخرة:

حيث نهى القرآن الكريم عن تحريم ما أحله الله تعالى من الطيبات، قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المائدة: ٨٧].

وحث الإنسان على التوازن بين طلب الدنيا وطلب الآخرة، فقال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [القصص: ٧٧]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة: ٩، ١٠].

وهكذا تجلت الوسطية في كل أبواب الشريعة، فلا تجد بابا من أبوابها إلا والوسطية حاضرة في أصوله ماثلة في فروعه، مما أسهم في بناء العقل المسلم، وكان له بالغ الأثر في صياغة الفكر الإسلامي على الوسطية والاعتدال.

ثانيا: تربية العقل على وسطية الأخلاق:

حيث ربى القرآن الكريم العقل على وسطية الأخلاق، فكان ذلك من أعظم اللبنات في بناء الفكر الإسلامي؛ لأن الأخلاق هي السلوك الأظهر للفكر، حيث يراها الناس بأعينهم، ويشعرون بها في معاملاتهم، ومن أهم جوانب هذه الوسطية:

١- موافقتها للفطرة القويمة وللعقل السليم:

حيث جاءت أخلاق القرآن بمعالي الأمور؛ فوافقت الفطرة القويمة، والعقل السليم، ومن شواهد ذلك:

- الأمر بالعدل، ولو كان على النفس أو الوالدين أو الأقربين!!: يقول تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء: ١٣٥]. وفي هذا من السمو الأخلاقي والرقي الاجتماعي ما فيه.

- والأمر بالعدل ولو كان مع المخالف أو العدو!!: يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨].

ودونك كل أخلاق القرآن الكريم، تجدها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالفطرة السليمة والعقل الصحيح، ولهذا أعظم الأثر في تربية العقل وبناء فكره على الوسطية والاعتدال.

٢- شمولها لكل المكلفين:

فأخلاق الإسلام ليست خاصة بأحد دون أحد، ولا بطبقة دون طبقة، ولا بفئة دون فئة، إنها تشمل كل المكلفين، رجالا ونساء، أفرادا وجماعات، أغنياء وفقراء، رؤساء وخفراء، فليس لعِلْية القوم أخلاق، ولفقرائه أخلاق، وذلك واضح في كل الآيات التي تناولت الأخلاق؛ حتى التي جاءت بصيغة الإفراد فإنها مراد بها الجمع؛ لأن العبرة بعموم اللفظ. وفي ذلك تربية وبناء عظيم لعقل المسلم على وسطية الأخلاق. ومن شواهد ذلك:

- قوله تعالى في الوفاء بالعهد: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقوله تعالى في الأمر بالصبر: ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود: ١١٥]، فالأمر في ذلك –وفي سائر الأخلاق– شامل لكل المكلفين دون تمييز.

٣– ثبوتها، فلا تتغير بتغير الزمان أو المكان:

إذ لم يحدد القرآن الأخلاق بأزمنة معينة، ولا بمواقف معينة، ولا بأماكن معينة، وإنما جعلها ثابتة راسخة لا تتغير، صالحة لكل زمان ومكان، وجعل الأمر بها والحث عليها مستمرا إلى يوم الدين، ولهذا جاءت بصيغ تدل على الحال والاستقبال.

فوردت بصيغة الأمر أحيانا، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴾ [المائدة: ١]، وبصيغة المضارع أحيانا أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾[الرعد: ٢٠، ٢١]، وبصيغتي الماضي واسم الفاعل اللذين يفيدان الحال والاستقبال والمضي، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]. إلى غير ذلك من الشواهد القرآنية التي تدل على أن الأمر بالأخلاق ثابت لا يتغير بتغير الأحوال أو الزمان أو المكان.

وهكذا قرر القرآن وسطية الأخلاق، لتقوم مع وسطية العقيدة والشريعة أركانا ثلاثة في تربية العقل المسلم على الوسطية، ومن ثم بناء فكره على الوسطية والاعتدال.

المطلب الرابع: المعلم الرابع: التنمية والتزكية:

حيث اشتمل القرآن الكريم على فيض من الآيات الكريمة التي تضمنت ما ينمي العقل ويزكيه، ويزيد من قدراته، ويمكن إجمال ذلك في ثلاثة أمور:

(أ) الحث على النظر والتفكر في آيات الله تعالى في كتابه المسطور (القرآن الكريم) وفي كتابه المنظور (الكون):

حيث حث الله تعالى على تدبر كتابه الكريم في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩].

وحث على النظر والتفكر في النفس وفي الآفاق، في آيات كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤]. وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ [فصلت: ٥٣].

(ب) الحث على طلب العلم، والثناء على العلماء:

حيث كانت أول آيات تنزل على قلب النبي ﷺ هي قول الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق: ١ - ٥].

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتزود من العلم فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه: ١١٤]. وحث على الرجوع لأهل العلم في كل معضلة فقال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل: ٤٣].

وبيَّن سبحانه أن لأهل العلم عنده درجات عالية، فقال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: ١١]. وأخبر سبحانه أن العلماء هم أهل الخشية منه تعالى، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

وغير ذلك من الآيات الكريمة في هذا المقام؛ مما له أثر عظيم في تنمية العقل وتزكيته.

(ج) التعقيب على آيات كثيرة بالحث على إعمال العقل:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النحل: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [النحل: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الروم: ٢٤]، وآيات أخرى كثيرة.

وهذا كله حث وحض على إعمال العقل، وتدريب عملي له على تدقيق النظر، والتدبر في كتاب الله تعالى، وفي كونه الفسيح، واستثارة ملكة التفكير والبحث فيه، لفتح آفاق إيمانية جديدة للعلم والمعرفة قائمة على الاقتناع العقلي، وفي هذا كله ما يزكي العقل وينميه ويزيد من قدراته على التفكير والبحث.

وبعد، كان هذا بيانا موجزا لمعالم منهج القرآن الكريم في عنايته بالعقل، وأثر ذلك في بناء الإنسان فكريا.

ورغم وضوح منهج القرآن الكريم في ذلك إلا أن المجتمع الإسلامي –والحق يقال– لم يخل على مر التاريخ من أناس انحرفوا عن الجادة، فأفرط بعضهم حين جعلوا للعقل سلطانا على الشرع، وفرَّط بعضهم حين عطلوه وأهملوه، وما وقع هؤلاء وأولئك في تلك المخالفات إلا بسبب بُعدهم عن هذا المنهج القرآني العظيم.

الخـــاتمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين. **وبعد،**

فقد انتهيت بحمد الله تعالى وتوفيقه من هذه الدراسة، **(منهج القرآن في عنايته بالعقل وأثره في بناء الإنسان فكريا)** وتوصلت إلى العديد من النتائج، والتي من أهمها:

١- أن بناء القرآن للإنسان بناء فكريا له أهمية عظيمة تتجلى في جانبين: أولهما: هدايته إلى الصراط المستقيم، على المنهج الوسطي عقيدة وشريعة وأخلاقا، وثانيهما: تحصينه من التيارات المنحرفة.

٢- تجلت عناية القرآن بالعقل في معالم رئيسة أربعة: هي التكليف والتشريف. والحفظ والوقاية. والتربية والرعاية. والتنمية والتزكية.

٣- تجلى جانب التكليف والتشريف في جعل العقل مناطَ التكليف، وكان لذلك الدور الأعظم في بناء فكر المسلم، وتكوين وعيه؛ إذ بالعقل يفهم عن الله تعالى مراده، وبه يعرف الحلال من الحرام، وبه يعرف كيف يطبق شرع الله. وهذا يؤسس لقاعدة عظيمة هي أن الفكر الإسلامي يقوم على احترام العقل وتقديره.

٤- تجلى جانب المحافظة على العقل ووقايته في حفظه ماديا: بأن شرع له ما يحفظ وجوده، وما يحفظ صحته وسلامته، فحرم الاعتداء عليه بالإهلاك، وحرم كل ما يحجبه ويغيبه. وفي حفظه معنويا: بأن شرع له ما يحفظه من الخلل والاضطراب فحرَّم السِّحر، وما يندرج تحته من الدجل والشعوذة وغيرهما.

٥- تمثلت تربية القرآن ورعايته للعقل في: تحريره من التقليد والتعطيل، وتربيته على المنهج العلمي الصحيح القائم على الحجج والبراهين، وبيان حدوده التي لا يجوز له تجاوزها، حفاظا عليه من الفساد، ورحمة به من التكليف بما لا يطاق، وتربيته على الوسطية والاعتدال (عقيدة وشريعة وأخلاقا).

٦- تمثلت تنمية العقل وتزكيته في حثه على النظر والتفكر في آيات الله تعالى، وعلى طلب العلم.

٧- ساهمت هذه المعالم كلها في بناء فكر المسلم على الوسطية والاعتدال.

وأخيرا: أوصي نفسي والمسلمين بالتزام منهج القرآن الكريم في كل الجوانب، ومنها منهجه في العناية بالعقل، وأثر ذلك في بناء الإنسان فكريا؛ لأن ما تعانيه أمتنا في عصرها الحاضر من انحراف بعض أبنائها عن المنهج القويم إفراطا أو تفريطا لهو أثر من آثار بُعدهم عن هذا المنهج العظيم، بما لا يخفى على عاقل، ولا ينكره منصف.

والله أسأل أن ينفعني بهذا العمل، وأن ينفع به كل من يقرؤه، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله في الأولى والآخرة. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هوامش البحث:

(١) يراجع: مقاييس اللغة لابن فارس: ١/ ٣٠٢، والصحاح للجوهري: ٦/ ٢٢٨٦، ولسان العرب لابن منظور: ١٤/ ٩٤، ٩٧، وأساس البلاغة للزمخشري: ١/ ٧٩. مادة (بنى).

(٢) الكليات للكفوي: ص٢٤١.

(٣) مقاييس اللغة: ٤/ ٤٤٦. مادة (فكر).

(٤) الصحاح: ٢/ ٧٨٣، ولسان العرب: ٥/ ٦٥، والقاموس المحيط للفيروزابادي: ص٤٥٨، مادة (فكر).

(٥) الحديث: أخرجه الطبراني في الأوسط: ٦/ ٢٥٠، ح(٦٣١٩)، واللالكائي في السنة: ٣/ ٥٨٠، ح(٩٢٧)، والبيهقي في الشعب: ١/ ٢٦٢، ح(١١٩)، عن سالم بن عبد الله عن أبيه ابن عمر رضي الله عنهم، مرفوعا، وحسنه الألباني بشواهده (ينظر: السلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤/ ٣٩٥، ٣٩٦).

(٦) يراجع: المفردات: ص٦٤٣، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: ص:٢٦٣، وجامع العلوم لعبد النبي الأحمد نكري: ٣/ ٣١.

(٧) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب التَّفسير: تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾: ٦/ ٢١، ح(٤٤٨٧).

(٨) يراجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.، في المواد (عقل، قلب، فأد، نهى، حجر، لبب، علم، فقه، فكر، قرأ، وعى، ذكر، دبر، نظر، عبر).

(٩) هذا هو الأوْلى في رأيي، وقد ذكر المفسرون في معنى عرض الأمانة على تلك الأجرام قولان، أولهما: العرض حقيقة، والثاني: أن ذلك من باب المجاز تعظيما لشأن الأمانة، والرأيان مذكوران في أكثر كتب التفسير.

(١٠) يراجع: جامع البيان للطبري: ٢٠/ ٣٣٦- ٣٤٣، والكشاف للزمخشري: ٣/ ٥٦٤، ٥٦٥، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٤/ ٤٠٢، ٤٠٣، والتفسير الكبير للرازي: ٢٥/ ١٨٧، ١٨٨ ، وتفسير أبي السعود: ٧/ ١١٨، ١١٩، والتسهيل لابن جزيء: ٢/ ١٦٠، ١٦١، وغيرها من كتب التفسير.

(١١) قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت: ١١].

(١٢) يراجع المغني لابن قدامة: ١/ ٢٩٠، ٣/ ٢١٣، ٥/ ١٠٩، ٧/ ٣٧٨، وغيرها.

والحديث: أخرجه: أبو داود في سننه: في كتاب: الحدود، باب: في المجنون يسرق أو يصيب حدا: ٤/ ١٤١، ح(٤٤٠٣)، والترمذي في سننه، أبواب الحدود، باب: ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد: ٤/ ٣٢، ح(١٤٢٣)،عن علي ﷺ، وصححه الألباني، في تحقيقه لسنن الترمذي نفس الطبعة.

(١٣) جامع البيان: ٧/ ٥٥٧.

(١٤) يراجع: المبسوط للسرخسي: ٢٦/ ٦٩، ٩٩، وبدائع الصّنائع للكاساني: ٧/ ٣١٢، والحاوي الكبير للماوردي: ١٢/ ٢٤٧، والمهذَّب للشيرازي: ٣/ ٢٢٢، والمغني لابن قدامة: ٨/ ٤٦٥، وكشّاف القناع للبهوتي: ٦/ ٥٠.

(١٥) الإجماع لابن المنذر: ص١٢٣.

(١٦) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه: في كتاب: الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام: ٣/ ١٥٨٥، ح(٢٠٠٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(١٧) الحديث: أخرجه: البخاري في صحيحه: في كتاب: الحدود، باب ما جاء في ضرب شارب الخمر: ٨/ ١٥٧، ح(٦٧٧٣)، ومسلم في صحيحه: في كتاب: الحدود، باب: حد الخمر: ٣/ ١٣٣١، ح(١٧٠٦) كلاهما عن أنس رضي الله عنه.

(١٨) الإجماع لابن المنذر: ص١١٧، والمغني لابن قدامة: ٩/ ١٥٨، والكبائر للذهبي: ص٨٠.

(١٩) الحديث: أخرجه: البخاري في صحيحه: في كتاب: التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ : ٦/ ٥٣، ح(٤٦١٧)، ومسلم في صحيحه: في كتاب: الأشربة، باب: تحريم الخمر: ٣/ ١٥٧١، ح(١٩٨٠) كلاهما عن أنس ﷺ.

(٢٠) يراجع: المحرر الوجيز لابن عطية: ١/ ١٨٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢/ ٤٣، وغيرهما.
ومن السحر ما هو كفر ومنه ما ليس بكفر، لكنه كله محرم في الجملة، يراجع: تفصيل حكم السحر في: المغني لابن قدامة: ٩/ ٢٨- ٣٣. وغيره من كتب الفقه.

(٢١) الحديث: أخرجه: البخاري في صحيحه: في كتاب: الوصايا، باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾: ٤/ ١٠، ح(٢٧٦٦)، ومسلم في صحيحه: في كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها: ١/ ٩٢، ح(٨٩) كلاهما عن أبي هريرة ﷺ.

(٢٢) ويمرض الأبدان أيضا.

(٢٣) يراجع: جامع البيان للطبري: ١٣/ ٢٨٠، ٢٨١، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٤/ ٢١١. وغيرهما.

(٢٤) المفردات للراغب: ص١٢١.

(٢٥) معجم الفروق اللغوية للعسكري: ص٩٧.

(٢٦) المفردات: ص٨٤٩. باختصار.

(٢٧) المفردات: ص٥٣٩. باختصار.

(٢٨) جامع البيان: ١٩/ ٢٧٤.

(٢٩) جامع البيان: ١٥/ ٨٩.

(٣٠) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣/ ٢٣٩.

(٣١) يراجع: الكبائر للذهبي: ص: ٧٠، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي: ١/ ١٦٢.

(٣٢) مدارج السالكين لابن القيم: ١/ ٣٧٨.

(٣٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/ ٣٤٩.

(٣٤) الكشاف: ١/ ٢١٣.

(٣٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/ ٥٢٣. باختصار. ويراجع: التسهيل لابن جزيء: ١/ ٤٣٨.

(٣٦) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٢٣٠٦.

(٣٧) الأثر أخرجه الطبراني في الكبير: باب من فضائل ابن مسعود ﷺ: ٩/ ٢٠٤، رقم(٨٩٩٥).

(٣٨) ملخص من أحكام القرآن لابن العربي: ٣/ ١٦٧.

(٣٩) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب التَّفسير: تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾: ٦/ ٢١، ح(٤٤٨٧)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤٠) جامع البيان: ٣/ ١٤٢.

(٤١) فتح القدير: ١/ ٢١٠. بتصرف يسير.

(٤٢) الوسيط للواحدي: ٢/ ٣٧، ٣٨، والتفسير الكبير: ١٠/ ٥٥

(٤٣) الكشاف: ٣/ ١٧٣، والجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ١٠٠. بتصرف.

(٤٤) أحكام القرآن لابن العربي: ٣/ ٣٠٨، ٣٠٩.

(٤٥) الصحاح: ٤/ ١٤٢٤. مادة (كلف).

(٤٦) الكشاف: ١/ ٣٣٢.

(٤٧) المحرر الوجيز: ١/ ٣٩٢.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١) **ابن العربي، مُحَمَّد بن عبد الله أبو بكر:** (٢٠٠٣م): أحكام القرآن، ط/١، بيروت، دار الكتب العلمية.

٢) **ابن القيم، مُحَمَّد ابن أبي بكر:** (١٩٩٦م)، مدارج السالكين، ط/٣، بيروت، دار الكتاب العربي.

٣) **ابن المنذر، مُحَمَّد بن أبراهيم:** (٢٠٠٤م): الإجماع، ط/١، بيروت، دار المسلم للنشر والتوزيع.

٤) **ابن جزيء الكلبي، مُحَمَّد بن أحمد:** (١٤١٦هـ): التسهيل لعلوم التنزيل، ط/١، بيروت، شركة دار الأرقم.

٥) **ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي:** (١٣٧٩هـ): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، ط/ دار المعرفة.

٦) **ابن حجر الهيتمي، أحمد بن مُحَمَّد:** (١٩٨٧م): الزواجر عن اقتراف الكبائر ط/١، بيروت، دار الفكر.

٧) **ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر:** (١٩٨٤م): التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.

٨) **ابن عطية، عبد الحق بن غالب:** (١٤٢٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط/١، لبنان، دار الكتب العلمية.

٩) **ابن فارس، أحمد بن فارس:** (١٩٧٩م): معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار الفكر.

١٠) **ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد:** (١٩٦٨م): المغني، القاهرة، مكتبة القاهرة.

١١) **ابن كثير، إسماعيل بن عمر:** (١٤٢٠هـ): تفسير القرآن العظيم، ط/٢، بيروت، دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٢) **ابن منظور، مُحَمَّد بن منظور الأفريقي:** (بدون تاريخ): لسان العرب، ط/١، بيروت، دار صادر.

١٣) **أبو السعود ، مُحَمَّد بن مُحَمَّد:** إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٤) **أبو داود، سليمان بن الأشعث:** (٢٠٠٩م): السنن ، ط/١، بيروت، دار الرسالة العالمية.

١٥) **البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل:** (١٤٢٢هـ): الصحيح، ط/١، بيروت، دار طوق النجاة.

١٦) **البهوتي، منصور بن يونس:** (بدون تاريخ): كشاف القناع عن متن الإقناع، بيروت، ط/ دار الكتب العلمية.

١٧) **البيهقي، أحمد بن الحسين:** (٢٠٠٣م): شعب الإيمان، ط/ الرياض، مكتبة الرشد.

١٨) **الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى:** (بدون تاريخ): السنن، ط/ بيروت دار إحياء التراث العربي.

١٩) **الجوهري، إسماعيل بن حماد:** (١٩٨٧م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط/٤، بيروت، دار العلم للملايين.

٢٠) **الذهبي، مُحَمَّد بن أحمد:** (بدون تاريخ): الكبائر، بيروت، ط/ دار الندوة الجديدة.

٢١) **الرازي، مُحَمَّد بن عمر:** (١٤٢٠هـ): التفسير الكبير، ط/٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢٢) **الراغب، الحسين بن مُحَمَّد:** (١٤١٢هـ): المفردات في غريب القرآن، بيروت، دار القلم.

٢٣) **الزبيدي، مُحَمَّد مرتضى الحسيني:** (بدون تاريخ): تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت، ط/ دار الهداية.

٢٤) **الزجاج، إبراهيم بن السري:** (١٩٨٨م): معاني القرآن وإعرابه، ط/١، بيروت، عالم الكتب.

٢٥) **الزمخشري، محمود بن عمر:** (١٤٠٧هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط/٣، بيروت، دار الكتاب العربي.

٢٦) **الزمخشري، محمود بن عمر:** (١٩٩٨م): أساس البلاغة، بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٧) **السرخسي، مُحَمَّد بن أحمد:** (١٩٩٣م): المبسوط، بيروت، دار المعرفة.

٢٨) **الشوكاني، مُحَمَّد بن علي:** (١٤١٤هـ): فتح القدير، ط/١، بيروت، دار ابن كثير.

٢٩) **الطبراني، سليمان بن أحمد:** (٢٠٠٦): المعجم الكبير، ط/١، بيروت، دار الكتب العلمية.

٣٠) **الطبراني، سليمان بن أحمد:** (بدون تاريخ): المعجم الأوسط، القاهرة، ط/ دار الحرمين.

٣١) **الطبري، مُحَمَّد بن جرير:** (٢٠٠٠م): جامع البيان، تحقيق: أحمد شاكر، ط/١، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٣٢) **الفيروزآبادي، مُحَمَّد بن يعقوب:** (٢٠٠٥م): القاموس المحيط، ط/٨، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٣٣) **القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد:** (١٩٦٤م): الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المصرية.

٣٤) **الكاساني، أبو بكر بن مسعود:** (١٤٠٦هـ): بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط/٢، بيروت، دار الكتب العلمية.

٣٥) **الكفوي، أيوب بن موسى:** (بدون تاريخ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٣٦) **الماوردي، علي بن مُحَمَّد:** (١٤١٩هـ): الحاوي الكبير، ط/١، بيروت، دار الكتب العلمية.

٣٧) **مسلم، مسلم بن الحجاج:** (بدون تاريخ): بيروت، ط/ دار إحياء التراث العربي.

٣٨) **المناوي، عبد الرؤوف بن علي:** (١٩٩٠م): التوقيف على مهمات التعاريف، ط/١، القاهرة، عالم الكتب.